وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة-
كلية الآداب والحضارة الإسلامية

الملتقى الوطني بعنوان
" مظاهر الانفتاح الفكري والأدبي في إسهامات الأمير عبد القادر الجزائري"

**الاسم واللقب:** ربيبة نبيل **الأستاذة المشرفة:** د. العابد صليحة
**الرتبة العلمية:** طالب دكتوراه
**مؤسسة الانتماء:** جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية
**كلية:** أصول الدين
**قسم:** الدعوة والإعلام
**رقم الهاتف:**0792159418
**البريد الإلكتروني:**nabilrebiba5@gmail.com
**البريد المهني:**nabil.rebiba@univ-emir.dz
**محور المشاركة:** التسامح وخطاب الحوار الحضاري عند الأمير عبد القادر
**عنوان المداخلة:** المنظور الإنساني للتسامح في فكر الأمير عبد القادر الجزائري-محطات من مواقفه-

## ملخص المداخلة:

تهدف هذه المداخلة إلى كشف المنظور الإنساني للتسامح في فكر الأمير عبد القادر الجزائري من خلال الوقوف على أهم مواقفه الإنسانية في ذلك.

وحاولت من خلال هذه المداخلة تناول مفهوم التسامح وأهميته الثقافية والاجتماعية في فكر الأمير عبد القادر، وتأثيره في بناء العلاقات الإنسانية وذلك من خلال تسليط الضوء على أمثلة عملية – حالات تاريخية – تظهر فيها تجليات التسامح في فكره وعمله وسأعتمد على المنهج التحليلي في ذلك.

ويبقى الهدف الرئيس من المداخلة هو كيفية استثمار ميراث الأمير عبد القادر في بعده الإنساني كتجربة تاريخية وفكرية نستلهم من خلالها الحلول لكثير من القضايا المعاصرة خاصة ما تعلق منها بقيمة التسامح.



**الكلمات المفتاحية:** التسامح، الأمير عبد القادر، الإنسانية، التسامح مع القبائل، أسرى الحرب، واقعة ماي1860



## Intervention summary:

This intervention aims to expose the human perspective of tolerance in Elamir Abdelkader Algeria's thinking by identifying his most important human attitudes in this.

Through this intervention, I tried to address the concept of tolerance and its cultural and social importance in Elamir Abdul Kader's thinking, and its impact in building human relations, by highlighting practical examples - historical cases - in which manifestations of tolerance appear in his thought and work, and I will rely on the analytical approach to it.

The main objective of the intervention remains how to invest Elamir Abdulkader's legacy in his human dimension as a historical and intellectual experience through which to inspire solutions to many contemporary issues, especially those related to the value of tolerance.



**Keywords:** tolerance, Elamir Abdulkader, humanity, tolerance for tribes, prisoners of war, the fact of 1860

**مقدمة:**

دائما ما تتطلع النفس البشرية إلى السلوك القويم والأخلاق الحميدة والطيبة، ولذلك فقد أوصانا الله تعالى بضرورة التحلي بمكارم وأفضل الأخلاق التي تجني على الإنسان وعلى أسرته وعلى مجتمعه ووطنه الخير الكثير، ويعد التسامح من أهمها فهو موضوع يتطلب التفعيل على أرض الواقع ولابد من تجسيد ذلك عمليا، سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات، كما أنه دائما ما يدل عن نقاء النفس وذكاوة السريرة، ولا يمكن أن يكون هناك شخص متسامح إلا إذا كان ذو قلب طيب يبغض إيذاء الآخرين، ولذلك فإن الشخص الذي يتحلى بصفة التسامح يكون شخص فريد وله عظيم الثواب عند الله تعالى ويكون محبوبا أيضا من الآخرين، وبالعودة إلى تراثنا الإسلامي الحضاري نجد في التصوف الإسلامي العديد من الدلالات والقيم التي تؤكد على التسامح والتآلف بين البشر في جميع المجالات، فقد كان عند الصوفية نهجا وخلقا من أخلاقهم فيما بينهم، وأدبا من آدابهم مع غيرهم، وهذا ما تجمع في شخص الأمير عبد القادر الجزائري الإنسان الفريد، الشاعر الأديب ، السياسي الدبلوماسي، المحنك العسكري، الإنساني المسامح، ذو نزعة دينية غير متعصبة، ذو نسب وأصل شريف، داعية إلى احترام الإنسان والأديان وإلى التسامح بين البشر، وعلى هذا الأساس نطرح مشكلة مداخلتنا:

**ما المنظور الإنساني للتسامح في فكر الأمير عبد القادر الجزائري؟**

هذه المشكلة بدورها يندرج تحتها عدة إشكالات فرعية:

**-ما مفهوم التسامح؟**

**-ما أهميته في فكر الأمير عبد القادر الجزائري؟**

**-ماهي أهم المواقف التي تتجلى فيه مسامحته؟**

**-كيف يمكننا أن نستثمر هذه القيمة كتجربة تاريخية في حل الكثير من القضايا المعاصرة؟**

ولفك خيوط هذه الاستفهامات، سأتناول أبرز المحطات الرئيسة للموضوع لنصل إلى نتائج وحقائق عنها، وبالتالي ارتأينا أن تكون خطة المداخلة على الشكل التالي:

**أولا:** الضبط المفاهيمي لمتغيرات المداخلة " التسامح، الأمير عبد القادر الجزائري"

**ثانيا:** أهمية التسامح في فكر الأمير عبد القادر الجزائري

**ثالثا:** محطات من مواقف الأمير عبد القادر المتسامحة

**رابعا:** استثمار قيمة التسامح في فكر الأمير عبد القادر لحل الكثير من القضايا المعاصرة.

## أولا: الضبط المفاهيمي:

قبل التطرق إلى صلب الموضوع لابد أن نعطي تعريفا للتسامح وللشخصية المدروسة في المداخلة بشيء من الإيجاز.

### 1-التسامح:

أ -الضبط اللغوي: قيل تسامح في الشيء تساهل معه والمسامحة المساهلة[1]

وجاء في لسان العرب لابن منظور: سمح، السماح، السماحة، والسميح وتعني لغة الجود والكرم وأسمح إذ جاد وأعطى بكرم وسخاء وأسمح وتسامح وافقني على المطلوب والمسامحة هي المساهلة[2]

من خلال ما سبق فالتسامح من المنظور اللغوي يعني المساهلة وكتم الغيض عن الآخرين.

ب-التأصيل الشرعي: التسامح عموما وفق المنظور الشرعي فضيلة أخلاقية وضرورة مجتمعية وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها فقد جاء في قوله تعالى:ﭐﱡ لخ لم لى لي □

□ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم يي □

□ □ □ ُّ ِّ ّ النساء:١

ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم يي □ □ □ □

ٌّ ٍّ ُّ ِّ ّٰ □ □ □ □ □ □ ئر □ آل عمران: ١٥٩

ﭐﱡ ﱢ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ّ المائدة: ١٣

ومنه فالنص القرآني يؤكد على مفهوم العفو والصفح بدل كلمة " تسامح" والتي لم يرد

---

[1]-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982م، ص9-10.
[2]-ابن منظور، لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1995م، ص 490

ذكرها في القرآن الكريم صراحة، ولكن ذكرت بمعاني التي ذكرت سلفا تحث على التسامح.

أما في السنة النبوية الشريفة فهناك أحاديث كثيرة منها:

-جاء رجلٌ إلى النبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فقال: **(يا رسولَ اللهِ، كم نعفو عن الخادمِ؟ فصمَتَ، ثم أعادَ عليه الكلامَ، فصَمَتَ، فلما كان في الثالثةِ قال: اعفُوا عنه في كل يومٍ سبعين مرةً)**[3].

-قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: **(ما نَقَصَتْ صَدَقةٌ مِن مالٍ، وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ)**[4]

ومنه فالتسامح في السنة النبوية الشريفة يعني التساهل والمساهلة واللين والحكمة والصفح والعفو.

ج-الضبط الاصطلاحي: تعددت المرجعيات التي يتحدد في ضوئها مفهوم التسامح، ففي اللغة العربية كما مر يكون أقرب إلى مفهوم العفو والصفح الذي يعد دالا لما ينطوي عليه مفهوم العفو من مغزى وعمليات، ومن ناحية أخرى فالتسامح قيمة تشير إلى أن الأفراد عليهم أن يتعلموا كيف يعيشون ويعفون ويسمحون لغيرهم أن يعيشوا، ومن ثم يتيحوا للأخرين ممن يعتنقون رؤى مختلفة عن رؤاهم ممارسة الرؤى دون تدخل منهم[5].

---

[3]-رواه أبو داود، في صحيح أبي داود، عن عبد الله بن عمر، الصفحة أو الرقم:5164، صحيح.

[4]-رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، الصفحة أو الرقم:2588، صحيح.

[5]-وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، د ج، دار المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2001م، ص113. -بتصرف-

وقيل ان التسامح هو أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه، و إن كانت مضادة لأرائك، و أنه لا يوجب على المرء التخلي عن معتقداته، أو الامتناع عن إظهارها أو الدفاع عنها أو التعصب لها، بل يوجب عليه الامتناع عن نشر آرائه بالقوة والقدح والخداع[6].

ومنه فالتسامح من خلال هذا المنظور معيار قيمي وواجب أخلاقي للإنسان من خلاله يناشد الحقيقة رغم تعدد صورها.

ويرى العديد من الأساتذة والباحثين أنه لا وجود للتسامح بهذا اللفظ في الثقافة العربية من حضور، فعلاقة المسلمين مع بعضهم أو مع غيرهم اتجه نحو مصطلح العفو، وخير دليل على ذلك النص القرآني كما مر معنا لا وجود لهذه الكلمة وإنما ذكرت بمعنى العفو "عشر مرات "

فمهوم التسامح كلفظ ظهر بصورة جلية في الفكر الغربي نتيجة الصراعات التي شهدتها أوروبا، وبرز في جانبه السياسي والدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، وتحرير الإنسان من السلطة الدينية.

ولكن في الحضارة الإسلامية المعنى يختلف، لأنها حضارة قول وفعل، وليست قول فقط.

وبعد التبحر في العديد من الكتابات عن مفهوم التسامح نصل إلى القول بأن التسامح هو القدرة عن العفو عن الآخرين والتآخي بين البشر، وعدم مقابلة الإساءة بإساءة مثلها، و الحرص على التمسك بالأخلاق الراقية التي حث عليها جميع الرسل والأنبياء، مما يعود على المجتمع بالخير والنفع عن طريق تحقيق التضامن والوحدة بين أفراده، وتحقيق العدل

---

[6]-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 271. –بتصرف-

والمساواة والحرية من خلال احترام العقائد والثقافات المختلفة.

2-الأمير عبد القادر الجزائري:

يمكن أن نورد تعريفا مختصرا للشخصية من خلال عدة مواقع منها " بوابة الشعراء" و "الموقع الرئاسي الجزائري"[7]:

**الأمير عبد القادر بن محي الدين*** المعروف بـ **عبد القادر الجزائري** ولد في قرية القيطنة قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري يوم الثلاثاء 6سبتمبر 1808 الموافق لـ 15 رجب 1223هـ هو قائد سياسي وعسكري مجاهد عرف بمحاربته للاحتلال الفرنسي للجزائر قاد مقاومة شعبية لخمسة عشر عاما أثناء بدايات غزو فرنسا للجزائر، يعتبر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار والاضطهاد الفرنسي، نفي إلى دمشق حيث تفرغ للتصوف والفلسفة والكتابة والشعر وتوفي فيها يوم 26مايو1883 ، وبعد الاستقلال نقل جثمانه الطيب إلى الجزائر عام 1965م ودفن بمربع الشهداء – مقبرة العالية- فرحمه الله واسكنه فسيح جنانه.

**ثانيا: أهمية التسامح في فكر الأمير عبد القادر الجزائري:**

يعد الأمير عبد القادر الجزائري واحدا من العظماء الذين قدموا دروسا في التسامح ومن المؤسسين لثقافة العفو والتسامح بين الأديان وحرية الفكر والتعايش السلمي بين الشعوب وترسيخ مبادئ القانون الدولي لحقوق الإنسان قولا وفعلا، وواحدا من الرجال الذين يستحقون اعتراف الوطن والتاريخ ، فمن خلال مواقفه وتسامحه في الكثير من المحطات نستنتج أهمية التسامح في فكره في النقاط التالية:

---

[7]- https://poetsgate.com/poet.php?pt=271

* التسامح يزيد من رقي الأشخاص الذين يقابلون الإساءة بالتسامح كما قابله الأمير عبد القادر، ويصبحوا مليئين بالخير، ويمتلكون نفسية قوية طبيعية بعيدة كل البعد عن الأمراض النفسية والحقد والكره.

*يزيد من أهمية الثقافة والعلم، ويساعد على تفعيل الحوارات البناءة، فيهتم الأفراد بتحقيق أعلى مراتب التعليم والثقافة، عن طريق الطرق السليمة بدون تعدي على حقوق الآخرين.

*يعمل على تحقيق القدرة على التعايش بين الشعوب والأفراد عن طريق تقبل الاختلاف والحفاظ على حقوق الآخرين، بعيدا عن الصراعات وانتشار الحقد والكراهية العنصرية.

*يكسب محبة الناس وثقتهم، حيث إن المتسامح يحبه الناس ويجدون فيه الشخص اللّين، فهو يعامل الناس بلطف وإحسان، وهو ما نلاحظه في شخصية الأمير الذي يحبه القريب والبعيد.

*تسامح الأمير لعب دورا مهما في حل الكثير من المشاكل، بالتالي فالتسامح يلعب دورا كبيرا في حل المشاكل العديدة فهو المخرج لها.

*يسفر التسامح عن انتشار الإسلام وتقبل الآخر المناقض له.

**ثالثا: مواقف الأمير المتسامحة:**

إن التسامح كما مر من أبرز الأعمال والصفات الأخلاقية التي ميزت حياة الأمير عبد القادر لأنه يعرف جيدا أن الشخص المتسامح يحظى بثواب عظيم وبحب الله، وكان يبدو التوجه المسالم والمتسامح للأمير عبد القادر من كونه نشأ في أسرة تنتمي إلى طريقة صوفية بسيطة، تهتم بالتعليم والأعمال الخيرية ومساعدة المعوزين والمحتاجين، بعيدا كل البعد عن السلطة وما يستتبعها من ترتيبات تفرضها طبيعة السلطة نفسها.

لقد تجاوز الأمير الإطار الضيق للفواصل والمركزيات التي تحد من سبل الحوار، فالتسامح الذي دعا إليه ليس من صنف التسامح الإيديولوجي الذي يكرس الظلم والتفرقة، وإنما دعا إلى التسامح المبني على السلم والحوار، ولعل من أشهر المواقف التي برهن فيها الرجل العظيم الأمير عبد القادر على مسامحته ما يلي:

1-التسامح مع القبائل التي رفضت الاعتراف بسلطته:

بعد معاهدة التافنة 30 ماي 1837م[8]، وبرحابة صدر تسامح الأمير عبد القادر مع القبائل والعشائر التي رفضت الاعتراف بسلطته، رغم تفوقه وغلبته عليهم، فاستسلم ابن المختار، ومثل مقهورا أمامه، فطلب منه الرحمة والعفو، ولإحسانه وسماحته لم يكتف بمنحه الأمان، ونسيان الماضي فقط بل عينه خليفة له على رأس القبائل المنهزمة، مما أبقاه مندهشا وفي حيرة، وهكذا أصبح ابن المختار منذ ذلك الحين أكثر أنصار عبد القادر ولاءا وإخلاصا له.[9]

هكذا عفا عنهم الأمير عبد القادر ولم يقهرهم، بل كان حليما رحيما بهم، ووعدهم بأن ينسى رفضهم الاعتراف به، شريطة إذا ما بايعوه مرة أخرى بأمانة وإخلاص دون أن

---

[8]-هي معاهدة جرت بين الأمير عبد القادر والجنرال توماس روبير بيجو من الجيش الفرنسي، المعاهدة نصت على أن يعترف الأمير عبد القادر بالسيادة الإمبراطورية الفرنسية في أفريقيا ومقابل ذلك تنازلت فرنسا عن ما يقرب من ثلثي الجزائر لإمارة الجزائر (ولايات وهران، القليعة والمدية وتلمسان والجزائر)، ولكن ما لبثت أن نقضها الملك لوي فيليب الأول، وأعلن الأمير عبد القادر الجهاد مرة أخرى

[9]-بسابيس (قويدر)، الفكر الوطني والتحريري عند الأمير عبد القادر الجزائري، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة سيدي بلعباس،2016/2015م، ص 86.

ينكثوا العهد، وأن يتعاونوا معه بصدق وإقدام في مجابهة الاحتلال الفرنسي.

كما تسامح أيضا مع كثير من القبائل الفقيرة الجبلية التي تعاني قساوة الطبيعة، والتي تفتقر إلى موارد الغذاء والمال، وعاملها بدرجة من العطاء والإكرام، وخفض من قيمة الضرائب التي تدفعها إلى خزينة الدولة، كالذي تعامل به مع قبيلة أولاد سيدي الشيخ وأهل القصور في الصحراء[10]، فمنحهم امتيازات تتمتع بها على خلاف بقية القبائل الأخرى، وعاملهم بدرجة خاصة من الإكرام، وأمر بجمع مال الضرائب المستحقة مما فاض عليها[11]

## 2-التسامح مع الأسرى الفرنسيين:

بالموازاة مع الثورة المسلحة ضد الغزاة الفرنسيين، كان الأمير عبد القادر يقود ثورة معنوية ومعركة أخلاقية كان يمليها عليه الدين الإسلامي الحنيف، فكان يعامل أسرى الحرب الفرنسيين معاملة الضيوف، ويوصي جنوده بالإحسان إليهم[12]، ويأمر بتقديم الطعام إليهم، والرفق بهم ومعاملتهم معاملة حسنة تتناسب مع إنسانيتهم العسكرية على اختلاف ديانتهم، فيفهم من خلال هذا أن مرجعية الأمير عبد القادر كانت تقوم على مبدأ العفو والصفح، وبهدف المحافظة على حياة الأسرى من خلال مبادلتهم بمن أسروا من جهته،

---

[10]-مزهود سليم، أخلاقيات التعامل مع الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المجلد 6، العدد 2، ص 60-77

[11]-نابي بوعلي، التسامح وأبعاده في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 6، ص 52-58

[12]-هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، د ج، الدار التونسية للنشر، د ت، ص56.

اقتداء بسنة النبي المصطفي صلى الله عليه وسلم[13].

نلتمس من صفحات التاريخ أن الأمير عبد القادر لم يكن يعامل الأسرى وفق أهواء شخصية ومصلحة ذاتية أو نزعة انتقامية، وإنما كان يعاملهم وفق المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المستوحاة من الدين الإسلامي من جهة، ومن قواعد القانون الدولي وتقاليد الحروب الحديثة من جهة أخرى، هذه القيم هي التي جعلته يفهم حقيقة معاملة الأسير[14].

فكان سباقا في وضع أسسه في معاملة الأسرى قبل أن يتم اعتماده في أوروبا، وهذه هي حقيقة شخصية الأمير عبد القادر الداعي للسلم والسلام في العالم.

وبحكمته وحنكته واجه الأمير عبد القادر دون كلل أو تردد القوات الفرنسية بكل بسالة وشجاعة وبقوة وعزيمة تنبع من معتقد الجهاد، فخاض المعارك ودوخ أكبر الجيوش، وفرق الحشود، وأسر جنود الاحتلال، وعاملهم وفقا لشهادات الفرنسيين أنفسهم لمقتضيات تسامحه التي تجسد أسمى القيم الإنسانية، وتمثل روح التعاليم الإسلامية المحمدية.

ولعلنا نذكر الكثير من الشهادات الفرنسية عن معاملة الأمير للأسرى، وعن أخلاقياته القتالية وإيمانه وشخصيته المتزنة شهادة النقيب الفرنسي" موريزو" الذي تكلم عن حادثة اسره فقال:".. بعد ساعات فتحت عيني فوجدت نفسي في معسكر سيدي مبارك بن علال، ولم أكن أصدق ما حصل لي إذ كنت أحتفظ برتبي وأيضا بوسام الشرف الخاص بي...

---

[13]-كوكب عبد الحق، أبعاد فكر التسامح الإنساني لدى الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، المجلد 14، ص157.

[14]-المرجع نفسه ص158.

وشعرت أنني في مأمن داخل الخيمة..."[15]

وشهادة " هنري تشرشل" أيضا في كتابه:" إن العناية الكريمة والعاطفة الرحيمة التي أبداها عبد القادر نحو الاسرى ليس لها مثال في تاريخ الحروب، فكبار الضباط المسيحيين أن يجلسوا عند قدميه، وأن يتمسحوا بها، لانحطاطهم في المعاملة..."

لقد كان الأمير في نظر الأسرى عدوا كريم الأخلاق، وكل من كان أسيرا عنده أثنى عليه، فقد وصف أحدهم أيضا معاملة الأمير لهم مبينا تواضعه معهم قائلا:" عندما مررت بالسلطان فحياني بجلال فريد، وابتسامة مدهشة وأشار إلى بيده بالجلوس ثم سألني رأيي في بناء التحصينات، فأجبته أنها تظهر لي جيدة، هذا يدل على حرية تنقل الأسرى داخل المعسكر، فهم يتمتعون بحماية تامة"[16]

كان الأمير أيضا حريصا على سلامة صحتهم لدرجة أنه كان في كثير من الأحيان يخاطر بحياته من أجل إنقاذ الجرحى، كما قام ببناء المستشفيات لمعالجة المرضى المدنيين والعسكريين على حد سواء.

كما كان يهتم بغذائهم وملبسهم.

ومن المواقف الإنسانية أيضا والتي كانت تحسب له أثناء الجروب، أن الجندي الاميري كان مطالبا باحترام خصومه في حالات ثلاثة: إذا ألقى سلاحه، أو استسلم للأمر، أو اعترف بهزيمته، كون أن:[17]

---

**[15]**-درعي فاطمة، النزعة الإنسانية عند الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، العدد 2، ماي 2021، ص 137-146، بتصرف.

**[16]**-كوكب عبد الحق، مرجع سابق، ص 159.

**[17]**- كوكب عبد الحق المرجع السابق، ص 160.

*العدو مهما كانت قوتها، لما يتجرد من السلاح يصير إنسانا يتوجب احترامه.

*أن الحياة أغلى ما يتملكه الإنسان في الوجود، فلا يجوز حرمانه منها، و لما يتاح للمرء المقدرة على أن يعفو فالعفو من الرحمة.

تلكم جملة من الأخلاق الحربية التي لقنها الأمير عبد القادر لجنوده في معاملتهم مع الخصوم أو مع الاسرى، ساعيا من وراء ذلك ترسيخ وتفعيل الشعور الإنساني لديهم إلى حد المكافأة بالمال لمن يحافظ على الأسير والإتيان به على قيد الحياة، لذلك عمل جاهدا ودون كلل من أجل إرساء فكرة التوفيق بين الأهداف المشروعة للدفاع عن الأرض والعرض، وضرورة احترام الطبيعة الإنسانية للأعداء سواء في وقت الانتصار أو الهزيمة من ناحية أخرى، فالهدف من الجهاد ليس إهلاك المخلوقات والتخريب والقتل وقطع الرؤوس، فهذا يتنافى والحكمة والرحمة الإلهية، فضلا عن احترامه الشديد للقناعات الدينية للأسرى رغم اختلافه معها عقيدة، إذ لم يقبل أبدا أن يرغم الأسير على تغيير دينه تحت وطأة الخوف والتهديد، فكان رحمه الله سباقا لسن مبدأ زيارة القس-رجل الدين المسيحي- للأسرى والمساجين، ليس بغرض تمكينهم من ممارسة صلواتهم وطقوسهم الدينية فحسب، بل لتمكينهم من التواصل من خلال القسيس مع ذويهم وعائلاتهم والحصول عما يخفف من وجعهم من "مال وملابس وكتب وغيرها".

### 3- أزمة الشام ماي 1860م:[18]

لعل من أبرز المواقف التي تتجلى فيها تسامح الأمير عبد القادر هي فتنة أحداث

---

[18]-نابي بوعلي، التسامح وأبعاده الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مقال منشور، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، الجزائر، ص4-5-6.

ماي1862م التي وقعت في الشام بين المسلمين والنصارى، لقد جسدت تلك الحوادث الصورة الحقيقية للأمير و إيمانه بالحوار والتسامح بين الأديان وإمكانية التعايش بين الشعوب بعيد عن الحروب وسفك الدماء، من هذا الايمان العميق المشبع بالروح الدينية والمواقف الإنسانية الشريفة اندفع الأمير لإطفاء نار الفتنة وهو ما يعكس حرصه على حقن الدماء والبحث عن السلام لأن الحرب لم تكن خيرا على الناس في أي زمان او مكان.

قبل وقوع الفتنة جمع الأمير الأعيان ووجهاء القوم من أهالي دمشق وخاطب فيهم خطبته الشهيرة حذرهم فيها من عواقب الحروب الطائفية الطائشة والفتن وسفك الدماء، وبين لهم أن الأديان تدعو إلى التسامح والتعارف والتعاون والاحترام المتبادل بين البشر، أما الحروب المروعة ما هي إلا نتيجة فهم ساذج للدين الذي يروجه معتنقي الفكر المنحرف الضال، قائلا:" إن الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجل وأقدس من أن يكون خنجر جهالة او معول طيش أو صرخات نذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم، أحذركم أن تجعلوا لشيطان الجهل فيكم نصيبا، أو أن يكون إلى نفوسكم سبيلا"

ومع انطلاقة الفتنة بقي الأمير عبد القادر أربعة عشرة يوما لم يضعف فيها لحظة عن نصرة المظلومين، وإنقاذهم من القتل، وأشرف على تطبيب الجرحى، وقام على تعزية الأرامل واليتامى والثكالى، وكان يقضي اكثر الليالي ساهرا وبندقيته في يده حرصا على حمايتهم.

لقد سارع الأمير عبد القادر إلى حماية أحياء النصارى وآوى في بيته الرهبان والقناصل حتى بلغ عدد الذي أنقذهم الأمير ممن التجأوا إليه حوالي خمسة عشرة ألف من المسيحيين والقناصل والرهبان، لقد ضرب الأمير عبد القادر مثلا أعلى في التسامح والمحبة والإخاء

والبعد عن التعصب من خلال هذا الموقف الإنساني النبيل في تلك الفتنة الطائشة، حيث انتقلت اخبارها إلى مختلف بقاع العالم، مما جعل ملوك ورؤساء العالم ينظرون إليه بعين الإكبار والإجلال، ويمنحونه الأوسمة والهدايا من الدرجة الأولى على شجاعته ومواقفه البطولية والإنسانية، " فنال وسام الجوقة الفرنسي، ووسام صليب النسر الأبيض الروسي، ووسام صليب النسر الأسود الروسي، ووسام المخلص اليوناني، وأهدت إليه ملكة بريطانيا بندقية مرصعة بالذهب"

فكان رد الأمير حين كتب بعد هذه الفتنة معبرا عن سبب موقفه النبيل، يخاطب ملكة بريطانيا :" إنني لم أفعل إلا ما توجبه علي فرائض الدين، ولوازم الإنسانية".

فمن الرسائل التي وصلته بعد فعله الإنساني نذكر:[19]

-رسالة قيصر الروس:" إلى الأمير عبد القادر، اقتضت رغبتنا أن نشهر التفاتنا إليكم بشهامتكم وعملكم بما اقتضته الإنسانية ، واجتهادكم في انقاذ ألوف المسيحيين من أهالي دمشق، الذين وجدوا في خطر عظيم اقتضى الحال أننا سميناكم من أعظم فرسان رتبنا الإمبراطورية المشهورة بالنسر الأبيض".

-رسالة ملك إيطاليا:" إن عظيم تصرفكم في أمر المسيحيين في الحوادث الشامية قد أثبتت أمام أوروبا أنكم ممن حاز المزايا الحربية العظيمة، خصوصا الحادثة الدمشقية التي أنقذتم فيها النفوس الكثيرة، فكان ذلك حلية لنفسكم الكريمة المصطفاة، ثم إنه يوجد بين وبينك أيها الأمير العزيز مواصلة أفرح بذكرها وهي محبة الحرية التي تجعل تابعها محافظين على العدالة الحقيقية".

---

[19]-كوكب عبد الحق، مرجع سابق، ص 162-163.

لقد بلغ الأمير عبد القادر مبلغا راقيا في العفو والتسامح مع الأخرين بما فيهم أعداؤه من أهل بلاده ومن خارجها، وعمل على الإصلاح بين الناس على اختلاف أديانهم، ونبذ الطائفية حيثما كانت، مما جعله يتبوأ مكانة عظيمة بين الناس والأمم.

لم يقتصر المعجبون بالأمير عبد القادر على الملوك والرؤساء بل حظي بإعجاب وتقدير ومدح الكثير من الكتاب والشعراء والمؤرخين العرب والأجانب، فقد مدحه على هذا الموقف الشريف الشجاع الشاعر أمين الجندي قائلا:

إليك انتـهى المجد الرفيع المـؤثّل

وعنك، أحاديث المكارم، تنقـــل

وفي الشام، لما أن بغى الناس، واعتدى

على بعضهم بعض، بما ليس تقبل

نهضت لإخماد الفساد بهمة

تزيل الرؤوس. والأســـود تجـنـدل

حقنت دماء، حرم الشرع سفكها

وصنت من الأعراض ما لا يحلل

بذلت من الأموال وفرا بمثله

يضن سخي الطبع والمتمول

صنيعك هذا ليس يقدر قدره

ولا أحد حقا له يتوصل

قصدت به مرضاة ربك مخلصا

وما خاب عبد في رضى الله يعمل

لقد نال الأمير عبد القادر الجزائري شهرة عالية حتى أعده أهل دمشق من النعم العظيمة التي أنعم الله بها عليهم ، فعليه رحمة الله.

رابعا: استثمار ميراث الأمير عبد القادر كتجربة تاريخية في حل القضايا المعاصرة

يمثل الأمير عبد القادر الجزائري صفحة مجيدة واستثنائية بالمواقف التي مرت معنا من تاريخ الجزائر المعاصرة لن يتمكن الزمن من إلغائها عن الوعي الثقافي والفكري والادبي والوجودي لأبطال الجزائر، فقد جسد أقصى درجات الوعي في الزهد المطلق، ورفض الإستعمار، وقدم دروسا نموذجية ومن أرقى المستويات في التسامح في زمانه، ولا يزال يشغل الباحثين والمفكرين اليوم في بقاع الدنيا، لقد قد للشعب الجزائري إرث عظيم مليء بأروع البطولات والتضحيات التي قلما يجود بها شعب في التاريخ، والتسامح هو أحسن ميراث تركه الأمير عبد القادر للإنسانية جمعاء حيث يمكن استثماره في عالمنا المعاصر لنعيش بسلام من دون تلويث العالم ووطنا الجزائر بالدماء والحروب والمذابح الجماعية. ونستثمره كذلك في تعزيز العلاقات الاجتماعية التي تمر بها الدول المغاربية الان من حقد وكره ، ولتثبيت الثقة المتبادلة بينهم.

وتسامح الأمير خير مثال يحتذى به في تعزيز قيم الاندماج ولتمكين الشباب والجيل الناشئ بالشعور بالتفاؤل في الحياة.

ولعلّ استطلاعنا المتواضع حول مواقف الأمير عبد القادر يثبت أن التسامح يجعل الناس يشتركون في نظرتهم المتفائلة للمستقبل، ويرون أن الاحترام والاحتفاء بالتنوع هما مفتاح

بناء مستقبل أفضل للجميع. فالمجتمع المتسامح، أكثر تمتعا بحسن المزاج وأقدر على المبادرة مِن غيره، وأقرب إلى التفاؤل في الحياة مِن الآخرين، وبناء علاقات جيدة مع الناس، ويبعث الرضا والثقة والأمل في المستقبل لدى الأفراد.

## خاتمة:

بعد هذا التحليل نصل إلى استخلاص عدة نقاط:

- التسامح قيمة عظيمة، وأحد أهم المبادئ الإنسانية التي حولها الإسلام إلى واقع يتعامل به المسلم في حياته اليومية العملية فهو ليس تنازل عن الحقوق بالذل والمهانة، وليس تنازل من ضعف أو خوف أو قلة حيلة، بل هو نابع من صفاء القلوب وصادر من قوة إرادة

وعزيمة صادقة في الانتصار على النفس والذات بكل إيجابية.

-التسامح صفة العظماء والأقوياء أمثال الأمير عبد القادر فهو من الذين يتملكون مشاعرهم ويضبطون أنفسهم كما مر معنا في المواقف الصعبة كالتي مرت معنا والتي تستوجب التحلي بالصبر والحكمة والتسامح، لاتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب وفي الاتجاه المناسب.

-التسامح أهميته تكمن في تعزيز العلاقات والوحدة والتضامن بين شعوب العالم للاتجاه نحو السلم والأمن الدوليين.

-سجل التاريخ لشخصية الأمير عبد القادر صورة من صور التسامح والإنسانية ومواقفه التي فصلنا فيها، حيث لا ينساه له التاريخ، ويمكن اعتباره بحق بهذه الخاصية الجهادية نموذج مبكر في تاريخ الفكر الجزائري الحديث بكل قوة وصدق ووضوح ذلك التلاحم ما بين الوطن والدين

-إن المنظور الإنساني للتسامح في فكر الأمير عبد القادر جعلته نموذجا رائعا لابد من استثماره في تاريخنا المعاصر وفي حل الكثير من القضايا الراهنة.

## توصيات:

-تعزيز قيم التسامح، من خلال تضمين هذه القيم عند تصميم البرامج والمناهج الدراسية في كافة مستويات التعليم في الجزائر.

-تدريس مقررات تراعى التعدد الثقافي، من خلال أنشطة وممارسات عملية تساعد الطلبة على تبنى سلوكيات التسامح.

-عقد ندوات ومؤتمرات تدريبية بهدف تعزيز قيم التسامح، يشارك فيها كافة أطياف المجتمع خاصة الطلبة –النخبة-.

-دعوة الطلبة المنتمين إلى هذه الجامعة إلى قراءة تاريخ الأمير عبد القادر والتمعن به وأخذ العبر من سيرته المتسامحة لتكون وسيلة لحل كل ما يعترض طريقهم وحياتهم بنفس منهجه وفكره.

قائمة المصادر والمراجع:


أولا: النصوص المقدسة:

**1-**القرآن الكريم

**2-**السنة النبوية الشريفة

ثانيا: الكتب:

**1-**جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982م.

**2-**ابن منظور، لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1995م.

**3-**وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، د ج، دار المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2001م.

**4-**بسابيس (قويدر)، الفكر الوطني والتحريري عند الأمير عبد القادر الجزائري، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة سيدي بلعباس،2016/2015م.

**5-**مزهود سليم، أخلاقيات التعامل مع الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المجلد 6، العدد 2.

**6-**نابي بوعلي، التسامح وأبعاده في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 6.

**7-**هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، د ج، الدار التونسية للنشر، د ت.

**8-**كوكب عبد الحق، أبعاد فكر التسامح الإنساني لدى الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، المجلد 14.

**9-**درعي فاطمة، النزعة الإنسانية عند الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، العدد 2، ماي 2021.

**10-**نابي بوعلي، التسامح وأبعاده الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مقال منشور، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، الجزائر.

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

1- https://poetsgate.com/poet.php?pt=271